الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية

دكتور رفعت فوزى عبد المطلب

مقدمة :

مما لا شك فيه أن وجوه اعجاز القرآن الكريم متنوعة ومتعددة ، فهو معجز فى بيانه وأسلوبه ، وهو معجز فى تقسيمات عباراته وموسيقاها ، وهو معجز فى موضوعاته وملاءمتها لحاجة البشر وحياتهم ، وهو معجز فى انبائه عن الماضى ، وعن المستقبل .

وهو معجز فى ترابطه بعضه ببعض ، فكل سورة منه مرتبطة بالسورة التى قبلها والسورة التى بعدها ، وكل آية مترابطه مع الآية التى قبلها والاية التى بعدها . وهو مترابط فى معانيه وموضوعاته ، بحيث يعطى عن كل موضوع منها تكاملا على الرغم من معالجته فى أكثر من موضوع وأكثر من سورة . وصدق الله العظيم حيث يقول : (أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)[1] . بل وقد قام بعض الباحثين بمحاولة اثبات أن القرآن الكريم مترابط كذلك فى حروفه ، وقد نجح الى حد لا يستهان به فى هذا الشأن .

وكل ذلك قد قام المفسرون والمشتغلون بعلوم القرآن الكريم ببيانه فى محاولة الكشف عن اعجاز القرآن الكريم

---

(١) سورة النساء (آية ٨٢) .

وحبكه وسر استيلائه على القلوب وأسره لها ، ونجاحه الأكبر فى صياغته للمعانى ، وتفرده بذلك .

١- ((الجانب النظرى للبحث))

ولكن هناك نوعا آخر من الترابط المعجز فى القرآن الكريم له فوائده الهدائية والتربوية ، ولم تنله عناية الدارسين للقرآن الكريم ومفسريه بالقدر الذى يليق بخطورته وأهميته ، أعنى به الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية .

فكثير من سور القرآن الكريم متعدد الموضوعات ، وذلك يبدو من النظرة الجزئية لكل موضوع فى السور هذه ، ولكن النظرة الفاحصة المتأملة للسورة ككل تضع فكر القارىء للقرآن الكريم أو التالى له عند موضوع واحد تدور حوله السورة ، وتتشكل موضوعاتها الجزئية بجوهر هذا الموضوع، وتسهم فى جوانبه ومجالاته ليؤدى كل منها الى غاية واحدة وهدف واحد هى غاية هذا الموضوع الواحد وهدفه الذى تدور حوله السورة القرآنية .

وجمع القرآن الكريم لموضوعات تصب فى موضوع واحد ، وتؤدى الى هدف واحد فى سورة عجيب ومعجز حقا ، اذ هو يلائم بين موضوعات تبدو مختلفة ، ولكنها بصياغة خاصة تترابط فى سورة ، وبصياغة أخرى لبعضها تترابط مع موضوعات أخرى فى سورة أخرى ، بحيث لا يستطيع بشر أن يفعل ذلك ، وهذا

واضح جد الوضوح فى القصص القرآنى ؛ اذ القصة الواحدة واردة فى أكثر من سورة ، ولكنها تختلف فى سورة منها فى أخرى ، كما قلنا تبعا لموضوع السورة العام ، وغرضها الذى يؤدى اليه ٠

ويزيد يقيننا أن القرآن الكريم من عند الاله الحكيم العليم القدير عندما نلاحظ أن موضوعات السورة الواحدة، قد يتباعد زمن نزولها ، ولا تنزل فى زمن واحد ٠

وهذا ـ كما أشرنا ـ له فوائده التربوية الكبيرة والهامة ، والتى منها :

(١) التنوع فى معالجة الموضوع الواحد ، وهذا يتناسب مع فطرة النفس الانسانية التى يناسبها التنوع ، فلا يتسرب اليها الملل الذى يدخل اليها عندما يعالج موضوع لها باضطراد معين ، وهذا يعين المؤمنين على تلاوة القرآن الكريم والاستزادة منه دون ملل ، كما هو الحال عند قراءة كتاب مهما كان شأنه ، اذ لايقرأ الا مرة أو مرتين ، فيستوعب ما فيه ، وتمل النفس تكرار قراءته بعد ذلك ، وهذا مالا يحدث فى القرآن الكريم ، كتاب الله العزيز ٠

(٢) فى هذا التنوع الذى يعالج موضوعا واحدا تثبيت لهذا الموضوع فى نفس التالى او السامع لكتاب الله عز وجل أو المهتدى بهديه ، اذ هو يوالى له اثبات هذا الموضوع من طرق عديده ، فكأنه يكرر له هذا

الموضوع دون تكرار ، وانما هو التوارد المستمر الذى يثبت القلب ويغرس فيه موضوع السورة من موارد شتى (كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا) [١]

والقرآن الكريم حكيم فى هذا ، اذ هو يشير الى موضوع السورة الكريمة فى أولها ، ثم يوالى اثباتها بالموضوعات الجزئية ، ثم يختم فى النهاية باثبات هذا الموضوع .

والطريقة الكلية التى يفضلها فى التعليم بعض التربويين تشبه هذا المنحى اذ يرى أصحابها أن الافضل فى التعلم أن يبدأ المعلم أو الكتاب بإعطاء فكرة عن الموضوع ككل ، ثم يبدأ ثانية فى اعطاء جزئياته ، ثم يختم ثالثة باثبات فكرة الموضوع ، وبهذا يكون الذهن قد وقف على الموضوع أكثر من مرة وفى هذا تثبيت له وزيادة فهم .

(٣) أن القرآن الكريم بهذا المنحى وبأسلوبه المعجز قدم موضوعاته بما يتلاءم مع استعدادات قارئيه من المؤمنين ، فقارىء بعض السور القرآنية يستفيد هداية بما قرأه منها من موضوع جزئى قد تعطيه بعض آياتها أو آية واحدة منها . ومع هذا فقارىء السورة كاملة وبنوع ما من الاستعداد الثقافى والفهم يخرج

---

(١) سورة الفرقان (آية ٣٢).

بهداية اكبر ، وفائدة أثبت ممن قرأ جزءا منها ٠

(٤) ان محاولة الوصول الى موضوع السورة العام قبل تفسيرها يعين على تفسيرها بما هو أعمق وأشمل وأدق لانه سيكون مبنيا على ذلك الموضوع ، وعلى ذلك فلا تبدو موضوعاتها الجزئية أشتاتا متفرقة ، ولا تبدو قصص القرآن قصصا مكررة ، وانما ينظر اليها على أنها مترابطة الموضوعات تسير كلها الى غاية واحدة قد تختلف فى قليل أو فى كثير عن موضوعات السور الاخرى وغاياتها ٠ ولهذا سيوجه المفسر عنايته نحو طابع الموضوعات الجزئية فيكشفها بما يجلى ويثبت الموضوع الاساسى الذى تعالجه ٠

كلام العلماء فى هذا المجال :

وقد حاول بعض المفسرين والمشتغلين بعلوم القرآن الكريم أن يقفوا على موضوع السورة هذا ، ولكن ذلك لم يتعد المحاولات كما وكيفا مع ما لهذا الجانب من مكانة كبرى ـ كما قلنا ٠

وأول من حاول ذلك فى تفسيره ـ على ما أعلم ـ الفخر الرازى ، يقول فى مقدمة تفسيره لسورة النساء : " اعلم أن هذه السورة مشتملة على أنواع كثيرة من التكاليف ، وذلك لأنه تعالى أمر الناس فى أول هذه السورة بالتعطف

على الاولاد والنساء والايتام ، والرأفة بهم ، وايصال حقوقهم اليهم ، وحفظ أموالهم عليهم ، وبهذا المعنى ختمت السورة ، وهو قوله (يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة)[1] وذكر فى أثناء هذه السورة أنواعا من التكاليف ، وهى الأمر بالطهارة ، والصلاة وقتال المشركين .

" ولما كانت هذه التكاليف شاقة على النفوس ، لثقلها على الطباع ، لاجرم افتتح السورة بالعلة التى لاجلها يجب حمل هذه التكاليف الشاقة ، وهى تقوى الرب الذى خلقنا ، والاله الذى أوجدنا ، فلهذا قال : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة "[2][3]

وهذه لا تعدو محاولة ، اذ لم يتتبع موضوعات السورة على امتدادها ويربطها ببعضها ،وفضلا عن ذلك لم يفعل هذا الا فى قليل من السور . ولكنها بداية طيبة اذ نبه الى ان هناك علاقة بين بداية السورة ونهايتها .

وقد تكلم عن هذا الموضوع الامام الشاطبى فى كتابه الموافقات فقال ان بعض سور القرآن الكريم لكل سورة منه

---

(١) الآية الاخيرة من سورة النساء.
(٢) الآية الاولى من سورة النساء.
(٣) الفخر الرازى : التفسير الكبير ج ٩ ص ١٥٧ ـ المطبعة البهية المصرية ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٨م .
وانظر الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم : محمد محمود حجازى ـ ص ٢٤ ط ١ ـ دار الكتب الحديثة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م

موضوع واحد ، والبعض الآخر له أكثر من موضوع ، يقول : " ان الكلام المنظور فيه تارة يكون واحدا بكل اعتبار ، بمعنى انه أنزل فى قضية واحدة طالت أو قصرت ، وعليه أكثر سور المفصل ، وتارة يكون متعددا فى الاعتبار ، بمعنى أنه أنزل فى قضايا متعددة ، كسورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، واقرأ باسم ربك الذى خلق ، وأشباهها ، ولا علينا أنزلت السورة بكمالها دفعة واحدة أم نزلت شيئا بعد شىء "(١)

وقال أيضا : " فسورة البقرة مثلا كلام واحد باعتبار النظم ، واحتوت على أنواع من الكلام بحسب ما بث فيها .. وقوله (انا أعطيناك الكوثر) نازلة فى قضية واحدة ، وسورة اقرأ نازلة فى قضيتين : الاولى الى قوله (علم الانسان مالم يعلم) والأخرى ما بقى الى آخر السورة ، وسورة المؤمنين نازلة فى قضية واحدة ، وان اشتملت على معان كثيرة "(٢)

ثم بين على وجه عملى كيف أن سورة المؤمنين لها موضوع واحد تدور فى فلكه موضوعاتها جميعا هذا الموضوع هو

---

(١) الموافقات ج ٣ ص ٢٧٩ ـ مكتبة محمد على صبيح/القاهرة . وقد نسب بعض الباحثين للشاطبى هنا كلاما آخر لا نجده فنقل عنه أنه قال بالنص : " ان السورة الواحدة مهما تعددت قضاياها فهى تكون قضية واحدة ، وهذا غير كلامه فى الموافقات حقيقة اذ أنه قسم سور القرآن الى قسمين : قسم فيه وحدة الموضوع فى السورة وقسم ليس كذلك . وذكر هذا الباحث أن كلامه هذا فيه الموافقات فى المسألة الثالثة عشرة ، أى فى نفس الموضوع الذى قرأناه ونقلنا منه . (الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم ـ محمد محمود حجازى ص ٢٤ ـ دار الكتب الحديثة ط١ ـ ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م)

(٢) الموافقات ٣ / ٢٨٥

" ذكر انكار الكفار للنبوة ،.. وأنهم انما أنكروا ذلك بوصف البشرية ترفعا منهم أن يرسل اليهم من هو مثلهم أوينال هذه المرتبة غيرهم ان كانت ، فجاءت السورة تبين وصف البشرية ، وما تنازعوا فيه منها ، وبأى وجه تكون على أكمل وجوهها حتى تستحق الاصطفاء والاجتباء من الله تعالى "[١] " فسورة المؤمنين قصة واحدة فى شىء واحد "[٢]

وقد أشار السيوطى فى كتابه الاتقان الى أن السورة فى القرآن الكريم لها غرض واحد سيقت له فنقل عن بعض العلماء المتأخرين قوله : " الأمر الكلى المفيد لعرفان مناسبات الآيات فى جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذى سيقت له السورة ، وتنظر ما يحتاج اليه ذلك الغرض من المقدمات ، وتنظر الى مراتب تلك المقدمات فى القريب والبعيد من المطلوب ، وتنظر عند انجرار الكلام فى المقدمات الى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع الى الاحكام واللوازم التابعة له التى تقتضى البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف الى الوقوف عليها ، فهذا هو الأمر الكلى المهيمن على حكم الرابط بين جميع اجزاء القرآن فاذا عقلته تبين لك وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية فى كل سورة "[٣]

كما تبين من نقوله أيضا مالاحظه بعض العلماء من علاقه بين أول السورة ونهايتها فسورة المؤمنين مثلا تتحدث عن

---

(١) المصدر السابق ٢٨١/٣ وقد استغرق تفصيل ذلك ص ٢٨٢، ١٨٣
(٢) المصدر السابق ٢٨٣/٣ .
(٣) الاتقان فى علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمن السيوطى (ت ٩١١هـ) جـ٢ ص مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى — مصر.

فلاح المؤمنين فى أولها: (قد أفلح المؤمنون) وعن عدم فلاح الكافرين فى آخرها (انه لا يفلح الكافرون)[١] ، وسورة القصص بدأت بأمر موسى ونصرته ، وقوله : (فلن أكون ظهيرا للمجرمين)[٢] ، وخروجه من وطنه ، وختمت بأمر النبى صلى الله عليه وسلم بألا يكون ظهيرا للكافرين[٣] ، وتسليته عن اخراجه من مكة ، ووعده بالعودة اليها[٤] ، لقوله فى أول السورة : (انا رادوه)[٥] وابتدئت سورة (ص) بالذكر[٦]، وختمت به فى قوله تعالى : (ان هو الا ذكر للعالمين[٧]، وابتدئت سورة (ن) بقوله تعالى : (ما أنت بنعمة ربك بمجنون)[٨] ، وختمت بقوله تعالى (انه لمجنون)[٩] [١٠]

وهذا كلام طيب فى الباب الذى نتحدث عنه اذ هو يشير الى أن السورة وحدة لا تتجزأ فى موضوعها بدليل بدايتها بموضوع ونهايتها به ، كما نقل عن بعض العلماء فى هذه السور ، وفى معالجتنا لموضوع سورة ما من سور القرآن سنرى هذا الترابط .

---

(١) آية (١١٧)
(٢) آية (١٧)
(٣) آية (٨٦)
(٤) آية (٨٥)
(٥) آية (٧)
(٦) آية (٢)
(٧) آية (٨٧)
(٨) آية (٢)
(٩) آية (٥١)
(١٠) الاتقان جـ٢ ص١٤٢

وفى عصرنا الحديث نرى من العلماء من يتحدث عن الموضوع الواحد للسورة القرآنية ويحاول تطبيق ذلك على بعض سور القرآن الكريم .

وأشهر هؤلاء الدكتور محمد عبد الله دراز والدكتور احمد بدوى والدكتور محمد محمود حجازى والشيخ محمد على الصابونى ، اما الدكتور محمد عبد الله دراز فقد تحدث عن ذلك فى كتابه " النبأ العظيم " ،وهو يتعرض لاعجاز القرآن الكريم وأنه من عند العليم الخبير ، وهو يرى أن السورة القرآنية وحدة لا تتجزأ تترابط موضوعاتها الجزئية على الرغم من أنها نزلت فى أزمان متفرقة و " ان هذه المعانى تنتسق فى السورة كما تنتسق الحجرات فى البنيان .. ، بل انها لتلتحم فيها كما تلتحم الاعضاء فى جسم الانسان ، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعى من انفسهما ، كما يلتقى العظمان عند المفصل ، ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والاعصاب ، ومن وراء ذلك كله يسرى فى جملة السورة اتجاه معين ، وتؤدى بمجموعها غرضا خاصا ، كما يأخذ الجسم قواما واحدا ، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد مع اختلاف وظائفه العضوية .

ثم طبق هذا عمليا فى عرضه لسورة البقرة مريدا بذلك أن يرسم به خط سيرها الى غايتها وابراز وحدة نظامها المعنوى فى جملتها .[1]

---

(١) النبأ العظيم د. محمد عبدالله دراز ـ دار القلم الكويت ط ٤ / ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

وقد أوضح ان السياسة الرشيدة فى دراسة النسق القرآنى هو تأمل السورة ككل للوصول الى هدفها وموضوعها وذلك قبل البحث فى الصلات الموضعية بين أجزائها ، فهذا خير معوان على فهم هذه الصلات المبثوثة فى مثانى الآيات ومطالعها ومقاطعها .(١)

أما استاذنا الدكتور احمد بدوى فقد تناول هذا الموضوع فى كتابه " من بلاغة القرآن الكريم " يقول :" ولكل سورة فى القرآن هدف ترمى اليه ، فنجد سورة الأنعام تتجه الى اثبات توحيد الله ونبوة رسوله ، وابطال مذاهب المبطلين، وما ابتدعوه من تحليل حرام أو تحريم حلال ، وتجد سورة الاعراف تتجه الى الانذار والاتعاظ بقصص الاولين وأخبارهم ، وتجد سورة التوبة تحدد علاقة المسلمين بأعدائهم من مشركين وأهل كتاب ومنافقين ، ونجد سورة الحجر ترمى الى اثبات تنزيل القرآن وترهيب المكذبين به بقص أخبار المكذبين قبلهم ، وهكذا تجد هدفا عاما تدور حوله السورة ، وتتبعه معان أخرى تؤكده ويستتبعها ، ويخلص الانسان فى السورة من معنى الى آخر خلوصا طبيعيا لا عسر فيه ولا اقتسار(٢) .

كما يلفت أستاذنا النظر الى أن بعض الآيات يشكل عليك معرفة اتساقها فى غرض السورة ، فتريث قليلا تر وجه المجىء بها قويا وضرب المثل بقوله تعالى : " لا تحرك به لسانك

---

(١) المصدر السابق ص ١٥٨٠
(٢) من بلاغة القرآن ص ٢٣٤٠

لتعجل به ، ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم ان علينا بيانه " فى سورة القيامة فان السورة كلها حديث عن يوم القيامة وأحواله ، وكذلك هذه الآية فالانسان يوم القيامة يتعجل قراءة كتابه ليعرف النتيجة فيقال له : لاتحرك بالقراءة لسانك لتتعجل النتيجة ، ان علينا أن نجمع مافيه من أعمالك فى قلبك ، وأن نجعلك تقرؤه فى تدبر وامعان ، فاذا قرأته فاتجه الاتجاه الذى يهديك اليه ، وان علينا بيان هذا الاتجاه وارشادك اليه ، اما الى الجنة ، واما الى السعير . وبذلك يتضح ألا خروج فى الآيات على نظم السورة وهدفها . (١)

وبعد أن قرر ذلك نبه على عدم موافقته للامام العز ابن عبد السلام الذى يرى أنه لا مناسبة ولا رباط بين موضوعات السورة الواحدة لأن القرآن الكريم نزل فى نيف وعشرين سنة فى أحكام مختلفة " وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه البعض"

وكذلك لم يوافق أبا العلاء بن غانم فى قوله : " ان القرآن انما ورد على الاقتضاب الذى هو طريقة العرب من الانتقال الى غير ملائم ، وأن ليس فى القرآن شىء من حسن التخلص " (٢)

ورد عليهما بأمرين : أولهما : مانراه من حسن التناسب وقوة الارتباط حقا بين الآى بعضها وبعض ، وثانيهما : هو

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٣٨ ، وكلام العز بن عبدالسلام وأبى العلاء ابن غانم فى الاتقان ج ٢ ص ١٣٨ .

ترتيب الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن على غير الترتيب الزمنى للنزول ، فقد كانت تنزل عليه الايات فيأمر كتبة الوحى أن يضعوها فى موضعها بين ما نزل من القرآن فى هذه السورة أو تلك " فلولا أن رابطا يجمع بين هذه الآيات ببعضها وبعض ما كان ثمة سبب يدفع الى هذا الوضع ولا يقتضيه " (١)

وقد طبق أستاذنا كلامه فى وحدة السور الموضوعية على سورة المزمل الذى رأى أن هدفها : " تهيئة الرسول للدعوة ، واعداده لما سيلقاه فى سبيلها من متاعب ومشاق " (٢)

أما الدكتور محمد محمود حجازى فقد أشار الى هذا الموضوع فى كتابه " الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم" وهو يعالج فيه موضوعات القرآن الكريم ، وأنها تكون وحدة موضوعية على الرغم من أنها تعالج فى أكثر من سورة ـ أشار الى أن السورة فى القرآن الكريم تكون وحدة واحدة فى الموضوع وأتت تقرأ السورة " فلا تحس بنشاز أو نفور ، ولا تدرك انقطاعا أو انفصالا ، بل تجد السورة كأنها صورة رائعة جميلة أو بناء تاما متكاملا لا نقص فيه ولا زيادة (٣) "

كما أشار الى أنه له جهد فى تفسيره الواضح فى سبيل الكشف عن الهدف الذى ترمى اليه السورة أو الموضوع الواحد الذى تعالجه (٤) "

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩
(٢) المصدر السابق ص ٢٣٤ ـ ٢٣٧
(٣) الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم ص ٥٨
(٤) المصدر السابق ص ٢٤ ٠

ولقد أثبت وحدة السورة الموضوعية عمليا على سورة الحجر الذى رأى أن هدفها - ككل السور المكية - الدعوة الى عبادة الله الواحد الأحد ، وذلك بالكلام على مظاهر القدرة فى الكون كله ، أرضه وسمائه وحيوانه وجماده ، ثم بالكلام على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى الكتاب المنزل ، ثم اثبات البعث يوم القيامة الا أن سورة الحجر لها طابع خاص تمتاز به ككل سورة وهو " تثبيت نبوة محمد ، صلى الله عليه وسلم " تم بين هذا الطابع على امتداد السورة الكريمة .(١)

وأما الشيخ محمد على الصابونى فقد ألف كتابا سماه " ايجاز البيان فى سور القرآن " وقد خصصه لبيان المحور الذى تدور حوله كل سورة من القرآن وموضوعها الأساسى ، وقد بين فيه أيضا الموضوعات التى تشتمل عليها كل سورة، تلك الموضوعات الجزئية التى يتشكل منها الموضوع الرئيسى.(٢)

والكتاب بهذا يعتبر اسهاما كبيرا فى الموضوع الذى نحن بصدده ، ولكن يؤخذ عليه أنه سرد الموضوعات الجزئية سردا دون أن يربطها بالموضوع الأساسى أو يبرزه من خلال بيانها ، وهذه نقطة ينبغى أن يُلتفت اليها حتى تتضح براعة القرآن الكريم فى ذلك واعجازه .

---

(١) المصدر السابق ص٥٦ وما بعدها .
(٢) ايجاز البيان فى سور القرآن الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م - مكتبة الغزالى .

ونجد لأبى الأعلى المودودى والدكتور محمد البهى محاولات فى بيان موضوع السورة القرآنية فى تفسيريهما الأول فى كتابه " تفهيم القرآن " والثانى فى " التفسير الموضوعى للقرآن " ٠

ولعلنا بعد هذا نكون على يقين من أن كل سورة فى القرآن الكريم لها موضوع واحد ، ونتوكل على الله محاولين تطبيق ذلك على بعض سور القرآن الكريم ٠

ومحاولتنا هذه تقوم على تصورات نرجو أن تكون صادقة وهى :

(١) أن السورة فى القرآن الكريم تشير فى أوائلها الى موضوعها ، وتشير اليه فى ختامها ٠

(٢) وهى تصبغ كل موضوع جزئى فيها بصبغة الموضوع الكلى٠

(٣) والكشف عن الموضوع الواحد للسورة امر اجتهادى ، ومن هنا فقد تختلف الآراء فى موضوع السورة الواحدة [١] وربما كان هذا بسبب ثراء القرآن وفيض عطائه ٠

---

(١) ولهذا يرى بعض الدارسين أن سورة القصص مثلا تدور حول محورين ، وهما التحرر من سلطان التآله السياسى فى الحكم والتحرر من سلطان التآله المالى (سيكولوجية القصة فى القرآن الكريم ٣٨٥)، بينما رأينا ان سورة القصص لها موضوع آخر كما سنرى فى الناحية التطبيقية من هذا البحث ٠

(٤) أن القرآن الكريم كما قال ربنا جل وعز مثانى فيه التبشير والانذار والثواب والعقاب والترغيب والترهيب ووصف للمؤمنين والكافرين .. الى آخره " الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى " (١)

وهذا يجتمع فى السورة الواحدة ، فاذا كانت السورة تتحدث عن التقوى أى هى موضوعها فهى كذلك تتحدث عن غير المتقين ومصيرهم أو عقابهم ومآلهم ، واذا كانت تتكلم عن اثبات البعث فهى تعرض للمنكرين وحججهم ومصيرهم وهكذا ..

ولنبدأ بعون الله تعالى محاولتنا .

٢ - (الجانب العلمى للبحث)

(١) سورة مريم

موضوعها اثبات رحمة الله عز وجل لعباده المخلصين تلك الرحمة التى لا تقف أمامها الأسباب التى أقام الله عز وجل عليها نظام الحياة .

ولقد اشارت السورة الكريمة الى موضوعها هذا فى أولها (ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا " (٢)

---

(١) الزمر (٢٣) (٢) مريم (٣،٢)

فرحمة الله نالت زكريا ذلك الذى حقق العبودية لربه عز وجل ، وكان ذلك بنداء خفى منه كان كافيا فى وصول تلك الرحمة التى لم تقف أمامها الأسباب ، اذ كانت فى صورة أن وهب الله له الولد وقد بلغ من الكبر عتيا وأمرأته عاقر (٤ ـ ١٤)٠

وما حدث لزكريا حدث لمريم الصالحة القانته لربها ، وهبها الله عيسى على غير أسباب طبيعية (١٦-٣٣) وكذلك ابراهيم عليه السلام وهبه الله اسحاق بعد أن كبر وكبرت امرأته وأصبحت عقيما لا تلد " فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ، ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا"(٤٩،٥٠) وهذه القصص الثلاث : قصة زكريا ، ومريم ، وابراهيم استغرقت نصف السورة تقريبا ٠

وهذه القصص ـ كما أشرنا فى أول البحث ـ قدتلونت بلون موضوع السورة فقد برزت فيها عناصر الرحمة الالهية ، وتحقيق العبودية ، واعطاء الله هؤلاء بما يتعارض مع الأسباب الطبيعية التى يسير الله عز وجل عليها حياة الناس ٠

كما تضمنت السورة الكريمة اشارات عابرة الى موسى واسماعيل وادريس وعلى قدر هذه الاشارات العابرة برز فيها موضوع السورة ، الرحمة المعطاة لهؤلاء لانهم عباد مخلصون :

فموسى كان عبدا مخلصا لله " واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا " فقربه الله عز وجل وناداه ، ووهب له أخاه هارون نبيا (ونادينـاه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا ، ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) (٥١-٥٣)

واسماعيل كان صادق الوعد وكان رسولا لله نبيا ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة فنال رضا الله ورحمته (واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) (٥٤-٥٥)

وادريس كان صديقا نبيا فرفعه الله مكانا عليا (واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ، ورفعناه مكانا عليا) (٥٦ - ٥٧)

كل هؤلاء أنعم الله عليهم ، لأنهم أخذوا بهدى الله عز وجل واستجابوا لتعاليمه وسجدوا له : (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ، ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) (٥٨).

والتفتت السورة الى من هم فى الجهة المقابلة هؤلاء الذين تركوا عبادة الرحمن فنالوا عقابه (فخلف

من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) (٥٩)٠

واذا كانت السورة الكريمة قد ركزت فى الثلثين الأولين منها على عباد الرحمن وما نالهم من نعمة الله ورحمته فانها ركزت فى الثلث الاخير منها على هؤلاء الذين ضلوا فأضلهم الله وعلى مصيرهم الذى ليس فيه رحمة من الله سبحانه وتعالى كتلك التى تصل المؤمنين المتقين ، أما أنواع النعيم فى هذه الحياة الدنيا فهى فى حقيقتها أنواع من العذاب لانها تؤدى اليه (قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) (٧٥)

(أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا، اطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا ، كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا ، واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) (٧٧ – ٧٨)

ولعلنا نلتفت الى كلمة الرحمن والرحمة التى تكررت كثيرا فى هذه السورة لان موضوعها الرحمة كما قلنا ٠

واختتمت السورة الكريمة بما ابتدأت به من ان الرحمن عز وجل يجعل للذين آمنوا وعملوا الصالحات الود

والحب ، وأنه تعالى يسر القرآن ليبشر به الرسول صلى الله عليه وسلم المتقين وينذر به الخصمين المعاندين (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ، فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا ، وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) (٩٦ - ٩٨)٠

وهكذا رأينا أن كل ما فى السورة بيان لموضوعها الرئيسى وهو أن رحمة الله مع العباد المتقين يستفيدون منها فى حياتهم وآخراهم وغيرهم لم ينفعهم شئ من عرض الدنيا الزائل ومن آلهتهم التى اتخذوها من دون الرحمن ٠

٢ - (سورة طه)

تتحدث السورة الكريمة ، وهى من السور المكية - عن الذكر الحكيم الذى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند ربه ، وأنه السعادة للناس فى الدنيا والآخرة اذا اتقوا وخافوا ما ينذرهم به ربهم،وان الاعراض عنه سبب للشقاء والتعاسة ٠

ومن هنا ابتدأت السورة الكريمة بهذا الهدف :
(طه ، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، الا تذكرة

لمن يخشى ، تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى ، الرحمن على العرش استوى) (١-٥) ٠

ومن هنا كذلك نبهت عليه فى ثناياها ، وفى آخرها : (كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا) (٩٩ - ١٠١)٠

وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ، ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما) (١١٣ - ١١٤)

(قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ، فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) (١٢٣ - ١٢٧)

ولقد تلونت قصة موسى عليه السلام - وقد استغرقت الكثير من السورة الكريمة - بهذا الغرض ، ففى أولها : أن موسى عليه السلام كلف بوحى من الله عز وجل فى أول

لقاء بينه وبين ربه :

(وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ، اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى ، وأقم الصلاة لذكرى) (١٤) وبعد بدايتها بقليل يطلب موسى من الله عز وجل تعضيد هارون له كى يكون عونا له فى ذكره عز وجل وتسبيحه :

" أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى ، كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا) (٣١ – ٣٥)

وفى وسطها بينت السورة الكريمة أن موسى عليه السلام كلف بقول لين يقوله لفرعون ليتذكر ويخشى عقاب الله عز وجل :

(اذهب أنت وأخوك بآياتى ولا تنيافى ذكرى .. اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) (٤٢ – ٤٤).

ولذلك ذهبا اليه ونفذا هذا التكليف :

(فأتياه فقولا انا رسول ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى ، انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى) (٤٧ – ٤٨)

وتختتم السورة الكريمة بأن الله عز وجل قد أقام على المشركين الحجة بأن أرسل اليهم رسوله بآياته ، وبين لهم ما فى الصحف الاولى :

(وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة مافى الصحف الاولى ، ولو أنا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى ، قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى) (١٣٣ - ١٣٥)

وهكذا نرى أن موضوعات السورة متعددة فهى تتحدث عن القرآن ثم عن قصة موسى وعلاقته بفرعون وقومه وقصة آدم وهبوطه من الجنة ولكن هذا كله يضمه موضوع واحد وهو الذكر والهدى الذى يأتى به الرسل الى البشر لاسعادهم ،ومن هنا ذكرت كلمة الآيات والذكر والهدى والوحى كثيرا فى كل موضوع جزئى ونتيجة ومآل من يتبع آيات الله ومصير غيرهم ٠

٣ - (سورة الانبياء)

سورة الانبياء تشير الى موضوعها من بدايتها ، فهى تبدأ بأن الناس اقترب حسابهم ، وهم فى غفلة معرضون وهم لاهون عما كلفوا به من ذكر ربهم (اقترب للناس

حسابهم ، وهم فى غفلة معرضون ، ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم، وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وانتم تبصرون) (١ - ٢)

فموضوع السورة اذن هو بيان أن ما جاء به الرسول ، صلى الله عليه وسلم ليس لهوا ولا لعبا كما يرى المبطلون ، وانما هو الحق الذى يصلح حياتهم وينبغى أن يأخذوا به كما قامت السموات والارض به فصلح حالها.

ومن هنا ركزت على بيان الحق الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من العقيدة الصحيحة واثبات قدرة الله عز وجل ، وقيام السموات والارض بالحق وكلها تذعن له عز وجل بالطاعة فى العبادة كما ركزت على ما فيه الكافرون من لهو ولعب (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ، لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ، فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من فى السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون) (١٦ -٢٣).

(وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه

لا اله الا أنا فاعبدون) (٢٥) (أو لم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ، وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون) (٣٠)٠

(قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون) (١٠٨) ٠

وفى ثنايا اثبات السورة لهذا الحق تشير الى هؤلاء ولعبهم واعراضهم عن ذكر الله عز وجل ، كما اشارت فى أولها ٠

(بل قالوا أضغاث احلام ، بل افتراه ، بل هو شا عر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون) (٥)٠

(أم اتخذوا من دونة آلهة قل هاتوا برهانكم ، هذا ذكر من معى وذكر من قبلى ، بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) (٢٤)٠

(ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ماكانوا به يستهزئون) (٤١) ٠

(قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون) (٤٢) كما تشير الى ما ينتظرهم من العقاب جزاء اعراضهم والسر فى اعراضهم وامهال الله لهم٠

(بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون) (٤٤)

(قل انما أنذركم بالوحى ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون . ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين) (٤٥ - ٤٧)

(انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون ،لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون ، لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون) (٩٨ - ١٠٠)

وتورد السورة الكريمة قصصا من قصص الانبياء السابقين مع قومهم فى سياق من موضوعها وهدفها :

فقد أعرض قوم ابراهيم عن دعوته ، وشككوا فيما يدعو اليه من الحق (قالوا اجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين) (٥٥)

فبين لهم ابراهيم الحق الذى أعرضوا عنه : (قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين) (٥٦)

ولقد استهزأ بهم ابراهيم ، كما استهزءوا بـــه : (وتاللـه لاكيدن اصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ، فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون) (٥٧ ــ ٥٨)

(أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلـــون) ٠(٦٧)

ولقد انعم الله على الانبياء وبعض من أقوامهم ممن كان منهم مؤمنا بالحق ـ بالصلاح (ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة ، وكلا جعلنا صالحين) (٧٢)٠

(وأدخلناه فى رحمتنا انه من الصالحيـن) (٧٥) (وأدخلناهم فى رحمتنا انهم من الصالحين) (٨٦)٠

(ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الار ض يرثها عبادى الصالحون ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين) (١٠٥ ــ ١٠٦)٠

وتختتم السورة بالتنبيه الى موضوعها وتلخيصـــه: أن الرسول صلى الله عليه وسلم انما جاء بالرحمة وعبادة الله الواحد ،فان أسلموا نجوا وان تولوا وأعرضوا فـان الله عز وجل محيط بهم وسيقع ما يوعدون به سواء أكـان قريبا أم بعيدا وتركهم فيما هم فيه من الاعراض لعلـــه فتنة لهم أو متاع الى أجل والله يحكم بالحق وهو المستعـان على ما يصفون ويعبدون ٠

(قل انما يوحى الى أنما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون ، فان تولوا فقل آذنتكم على سواء ، و ان ادرى اقريب أم بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون ، وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ، قال رب احكم بالحق ، وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) (١٠٨ - ١١٢)٠

فالسورة كما نرى تتجه الى موضوع واحد من أولها الى آخرها على الرغم من موضوعات جزئية بين ثناياها وحتى الكلمات تسهم فى هذا الموضوع على امتدادها كله٠

٤ - (سورة الحج)

سورة الحج تعالج موضوع الطاعة لله الذى أنعم وتفضل ، طاعة تصل الى درجة التقوى والمراقبة كى ينجو الناس من عذاب ربهم :

ولهذا تبدأ بمخاطبة الناس جميعا وأمرهم بهذا الموضوع :

(يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم) (١)

ثم تبين موقف هؤلاء الذين أعرضوا عن التقوى والطاعة ، وأنه لا علم لهم ولا برهان الا اتباع الشيطان ، الذى يضلهم ٠ ويؤدى بهم الى عاقبة السوء ، والكبر الذى يخزيهم فى الدنيا ويرديهم فى الآخرة :

(ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ، كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه الى عذاب السعير) (٣ ، ٤)

(ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولاهدى ولا كتاب منير ، ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ، ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ، ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد) (٨ – ١٠)

ولا يقبل الله تعالى عمل عبد لا يتجه بطاعته الى الله الا عندما يناله الخير واذا ناله الشر أعرض ، انه عندئذ يخسر الدنيا والآخرة :

(ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فإن اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) (١١)٠

ومعرفة قدرة الله عز وجل كافية لأن يؤمن الناس لربهم ويطيعوه (ذلك بأن الله هو الحق ، وانه يحيى

الموتى ، وأنه على كل شيء قدير ، وأن الساعة آتيـــــة لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور) (٦-٧)٠

ويطيع الله عز وجل كل من فى السمـــوات والأرض الا هؤلاء من الناس الذين حق عليهم عذاب ربهم لعدم طاعتهم:

(ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فـى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والـــدواب وكثير من الناس ، وكثير حق عليه العذاب ، ومن يهن اللـه فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء ((١٨) ٠

وعرضت السورة الكريمة موضوع الحج باسهاب ، وهـذا متلائم مع موضوعها باعتبار أن الحج يمثل الطاعة المطلقة لله تعالى حيث يتفرغ المؤمن لذكر الله عز وجل وتقديـــم ألوان الطاعات والامتثال ، وتعظيم شعائر الله عز وجـــل لأنه سبحانه أمر بتعظيمها رمزا لتعظيمه جل شأنه والخضوع التام لأوامره :

(ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام) (٢٨) (ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه) (٣٠) (ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) (٣٢) (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) (٣٧)٠

وتختتم السورة بأمر المؤمنين بالطاعة لله عز وجل،

الطاعة المطلقة التى تتمثل فى الركوع والسجود والعبادة وفعل الخير والجهاد فى الله حق الجهاد ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة والاعتصام به لانه نعم المولى ونعم النصير٠

(يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم ، وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم ، وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) (٧٧ - ٧٨)٠

٥ - (سورة النور)

موضوع سورة النور قوانين حماية الاسر الاسلامية وحفظ اعراضها ٠ ولهذا جاءت فيها تلك القوانين :

(١) يعاقب من يقترف جريمة الزنا بجلده مائة جلدة اذا كان غير محصن (غير متزوج) (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) ٠٠(٢)

(٢) جريمة القذف بالزنا من غير اثبات عقوبتها الجلد ثمانين جلدة (والذين يرمون المحصنات ، ثم لم

يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الفاسقون) ٠٠(٤)٠

(٣) الذين يحبون أن تشيع الجرائم الخلقية والجنسية فى مجتمع المؤمنين لهم العذاب الاليم فى الدنيا والاخرة : (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والاخرة)٠(١٩)

(٤) البيوت لها حرمتها فينبغى الاستئناس فى دخولها وزيارتها وهو مستوى فوق الاستئذان : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم ، حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) ٠٠ (٢٧)٠

(٥) لا يجوز الاختلاط أو كشف العورات أو ابداء ما يثير الغرائز الجنسية :
(قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ، ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون) (٣٠)٠
(وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن) (٣١)

(٦) وفى داخل البيوت ينبغى أن تكون هناك النظم التى تحمى الاعراض فى هذه البيوت فالاطفال والخدم

يستأذنون فى أوقات ثلاثة من اليوم ٠ أما غيرهم فيستأذنون فى كل وقت ٠ (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ، ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض ، كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم) (٥٨)٠
واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما أستأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) ٠٠ (٥٩)

والملاحظ ان تنفيذ هذه القوانين يحتاج الى عزم وصرامة لان عدم تنفيذها مما تميل اليه النفوس فى شهواتها ونزعاتها ونزغاتها ، ولهذا أكد سبحانه وتعالى فى أول السورة وفى ثناياها ثبوتها وفرضيتها ولا عذر فى الانفلات منها لانها واضحة بينة من عند العليم الحكيم :

(سورة أنزلناها وفرضناها ، وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون) (١) ، (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ، ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين) ٠(٣٤)

(لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) (٤٦)٠
(كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم) (٥٨)
(كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) (٥٩)

كما يبين عز وجل أن هذه القوانين وتلك التعاليم والمبادىء مرتبطة بايمان المؤمنين ، شأنها فى ذلك شأن التعاليم الاسلامية الاخرى ٠

(ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) (٢)٠
(انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) (٥١)٠

وهى صادرة من مصدر النور والهداية ، الله عز وجل الذى يهدى لنوره من يشاء والذى يسبح له من فى السموات والارض ٠

(الله نور السموات والارض ٠٠) (٣٥-٣٧)

ومن هنا فالسعادة والخير فى التمسك بهذه التعاليم وتلك القوانين :

(وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الدى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا

يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) (٥٥) ٠

واختتمت السورة الكريمة بما يتلاءم مع موضوعها فبينت أن المؤمنين هم الذين يؤمنون بالله ورسوله ويلتزمون بأمره ، وتحذر من يخالفون الله أو رسوله بأن تصيبهم الفتنة أو يصيبهم العذاب الاليم فى الدنيا والاخرة ، والله سبحانه وتعالى هو واسع العلم محيط بكل شىء ، ومن هنا ينبغى الالتزام بتعاليمه ٠

(انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه) (٦٢) ، (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أويصيبهم عذاب أليم ، الا ان لله ما فى السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شىء عليم) (٦٣ ، ٦٤)٠

وهكذا رأينا أن موضوع السورة الذى يسرى فيها جميعها واضح ، وهو وضع القوانين والمبادىء التى تحمى الاسرة الاسلامية وتحفظ أعراضها ٠

للبحث بقية